Shadows of meanings in prison poetry /until the end of the era of sects/

Dr. Slman Hattaa[*]
Dr. Nabil Sliman[**]
Yaser Ahmad Syrafe[***]

(Received 10 / 4 / 2019. Accepted 22 / 7 / 2019)

□ ABSTRACT □

In the Andalusian era until the end of the era of the sects, prison hair is a picture of political conflicts. It also reflects the struggle between high-level aspirants. It was better than the depths of the soul and impediments. It included many meanings: describing the prison and portraying the longing to the parents and carrying the meanings of self-pride and returned to the bright light. The meanings varied in prison poetry between poet and other. Due to the state of the social prisoner and his political position.

Key words: shades - Meanings - Poetry – Prisons - Age - sects

[*] **Assistant Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tishreen University, Lattakia**
[**] **Associate Professor, Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tishreen University, Lattakia.**
[***] **Postgraduate Student, master student Department of Arabic Language, Faculty of Arts, Tishreen University, Lattakia**

ظلال المعاني في شعر السّجون /حتى نهاية عصر الطوائف/

الدكتور سلمان حطّاب*
الدكتور نبيل سليمان**
ياسر أحمد صيرفي***

(تاريخ الإيداع 10 / 4 / 2019. قبل للنشر في 22 / 7 / 2019)

□ ملخّص □

يمثّل شعر السّجون في العصر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف صورةً للصّراعات السياسيّة، كما أنّه يعكس الصّراع بين الطّامحين للوصول إلى المراتب العليا، فكان خير مُعبّرٍ عمّا يجول في نفوس الشعراء من معانٍ، وقد تضمّن شعر السجون كثيراً من المعاني منها: /وصف السجن، وتصوير الشوق والحنين إلى الأهل، كما حمل معاني الفخر والاعتداد بالذات، وعاد إلى الماضي بصورته المُشرِقة/، وقد اختلفت المعاني في شعر السجون بين شاعر وآخر، وذلك تبعاً لحالة السّجين الاجتماعية أو منصبه السياسيّ.

الكلمات المفتاحيّة: ظلال، المعاني، شعر، السجون، عصر، الطوائف.

* أستاذ – قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين– اللاذقيَّة–سورية.
** مدرّس – قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين– اللاذقيَّة– سورية.
*** طالب دكتوراه– قسم اللغة العربية– كلية الآداب والعلوم الإنسانية– جامعة تشرين– اللاذقيَّة– سورية.

مقدمة:

عرفت العصور القديمة ظاهرة السّجن، ولا سيّما سجن المثقّفين والأدباء، وقد أظهر السجن العلاقة الإبداعية بين السجن والأديب، ولا سيّما في ظل الظروف السياسيّة والتاريخيّة التي عرفتها الأندلس من فتنٍ وثوراتٍ وحروبٍ، وقد استطاع شعر السّجون أن يعكس حياة الشاعر الفكريّة والنفسيّة، وفجّر قريحته الشعريّة.

وعلى الرغم من أنَّ شعر السجون في الأندلس كان هدفه التركيز على المضمون والمحتوى الفكريّ، لكنّ ذلك لا يعني خلوَّ ذاك الشّعر من النصوص التي تزخر باللّغة الأنيقة التي نصع بيانُها، فقد احتوى على صورٍ تحوّلت بإيحاءاتها القويّة إلى رؤيا.

مثّل شعر السجون الصراع بين الدّولة والنّاقمين عليها، كما أنّه عكس الصّراع بين الطامحين للاستئثار بالمناصب العليا، وفي ذلك كلّه عبّر من خلال هذه الأحداث عن السجن وآلامه، ولم يكن الاعتقال والسجن يقتصران على الشعراء من عامّة الناس، وإنّما طال بعض الملوك مثل المعتمد بن عبّاد الذي وقع أسيراً لدى جيوش المرابطين، وكذلك سُجن الوزراء كالوزير الشاعر أبو بكر بن عمار صديق المعتمد بن عبّاد ملك إشبيلية ووزيره، والوزير ابن زيدون.([1])

وكان لا بدّ من الوقوف على المقطّعات والقصائد التي قالها الشعراء في سجونهم والتي عبّروا من خلالها عمّا يختلج في نفوسهم من معانٍ، وقد تضمّنت المعاني وصف السّجن وحال السجين، كما صوّرت حالة السجين في أغلاله المؤلمة، وكان لا بدّ من أن تحمل أسمى معاني الشوق والحنين إلى الأهل والأحبّة، كما حملت معاني الفخر والاعتداد بالذات، ولعلّ الماضي كان في كثيرٍ من الأحيان المنطلَق الذي تنطلق الأفكار منه وإليه، فكان يُعاد الماضي بصورته الجميلة، وفي ذلك ينسلخ المسجون من واقعه الحالي المرير، وهنا لا بدّ من الإشارة إلى أنّ المعاني اختلفت من حيث تناولها بين شعراء السجن نتيجةً لاختلاف ظروف الحياة عند كلّ شاعرٍ بين كونه ملكاً أو وزيراً أو غيرها من الصفات.

وقد سعيتُ في هذا البحث إلى ذكر أشهر **معاني شعر السجون** والوقوف عليها بالتّحليل الذي يقف عند مكنونات الكلمات والعبارات وما تحمله من ظلالٍ نسجت المعنى الحقيقي المقصود الذي أراد الشاعر الوصول إليه بشكلٍ غير مباشر، وقد جعل الشعراء الصور والإيحاءات مركباً لهم يسوقون المتلقي من خلاله للوصول إلى أعماق ذاتهم واستكشافها.

أهميّة البحث وأهدافه:

- الوقوف عند أخبار بعض الشعراء الذين سُجنوا في العصر الأندلسي حتى نهاية عصر الطوائف.
- بيان أشهر معاني شعر السجون والوقوف عندها بالتحليل.
- إظهار التباين في مواقف شعراء السجون بين العزة والأنَفة حيناً، والتذلل والقلق والحيرة حيناً آخر.
- إظهار المعاني التي عبّرت عن أعماق الذات من شوقٍ وحنينٍ ورغبةٍ بالحرية.

منهجية البحث:

وقد اعتمد البحث على المنهج الوصفي الذي سيساعد في الوقوف عند أشهر معاني شعر السجون، وتحليلها وبيان ما تحمله من معانٍ.

[1] : **يُنظر: قلائد العقيان في محاسن الأعيان، الفتح بن خاقان، 1/ 89- 93.**

أشهر معاني شعر السجون:

عاش شعراء السجن حياة الشعر القاسية التي أفقدته إنسانيّته في زوايا السجن القاتمة طامحاً بالخلاص، وقد حاول اختراق زوايا السجن المظلمة من خلال ممارسة الكتابة الشعرية، فتنوّعت بذلك أغراضه الشعرية التي قصدها، وقد اقتصرت تجربة الشعراء في السجن على أغراضٍ ومعانٍ أهمّها:

1- وصف الحال في السجن، ووصف السجن:

السجن هو ذلك المكان الذي تمقته النفوس، وتتألّم فيه النفس لما تعانيه فيه من ذلٍّ وعبوديّة، حيث ضيق المكان، وشِرار الناس، وغلظة قلب السجّان وقسوته، ومن الشعراء الذين وصفوا حالهم في السجن الوزير هاشم بن عبد العزيز الذي سُجن على يد المنذر بن محمد، فقد أثقله بالحديد، وذكّره بما سلف من ذنوبه، ثمّ أخرجه إلى قصرٍ عظيمٍ وفيه قطع عنقه([1])، فكتب هاشم بن عبد العزيز واصفاً حاله في سجنه قبل موته:([2]) /الطويل/

فكم غصّةٍ بالدمعِ نهنهْتُ خوفَ أنْ ... يُسرَّ بما أبديه شنآنُ كاشحُ([3])

تحاملتُ عنه ثمّ ناجيتُ في الدّجى ... نجومَ الثريّا والدّموعُ سَوَافحُ

تتجلى جمالية المعاني من خلال مجابهة النفس في إظهار آلامها وأوجاعها في السجن كي لا يشمت العُداة والشامتون به، ثمّ يجعل الطبيعة ملجأً له، فيناجي النجوم بدموعٍ غزيرةٍ تكاد تنتهي.

وممّن لحقتهم عقوبة السّجن الشاعر أحمد بن عبد الله ابن زيدون، الذي أحبّ ولّادة بنت المستكفي، ممّا جرّ عليه المصائب والويلات، ولعلّ أشدّها خصومته مع غريمه في هواها الوزير أبو عامر ابن عبدوس الذي نسب مع بعضٍ من خصوم ابن زيدون تهمةً إلى ابن زيدون بأنّه يشترك في مؤامرةٍ على السلطان، فأمر القاضي بسجنه.([4])

وقد نظم ابن زيدون في سجنه قصائد عدّة حملت سمة الاستعطاف وقام فيها يصف حاله ومعاناته في معتقله، وكان منها قصيدته التي وجّهها إلى ابي الحزم بن جهور القائم على أمر قرطبة:([5]) /البسيط/

مَن يسأل الناسَ عن حالي فشاهدُها ... محض العيانِ الذي يغني عن الخبرِ

لم تطوِ بُردَ شبابي كَبْرةٌ ... برقَ المشيبِ اعتلى عارضَ الشّعرِ

قبل الثلاثين إذا عهد الصّبا كَثَبٌ ... وللشبيبةِ غصنٌ غيرُ مُهتصَرِ

يا للرزايا لقد شافهَتْ منهلَها ... غَمراً فما أشربُ المكروهَ بالغَمْرِ

إنَّ المعاني التي طرقها ابن زيدون تعبّر عمّا يجوب في داخله من أفكارٍ ومشاعرَ أراد أن يوصلها إلى المتلقّي فقد عمد إلى /برق المشيب/ الذي علا رأسَه مؤذناً بتقدّم العمر المعنويّ الذي لم يكن سببه التقدّم في السنّ، والدليل أنّه استخدم التركيب/لم تطوِ بردَ شبابي كَبرةٌ/ فهو لا يزال في عهد الشباب لم يصل الثلاثين، كما أنَّ المعاني تتجلى بوضوح في استخدام الصورة الاستعاريّة /يا للرزايا لقد شافهت منهلها غمراً/ للإشارة إلى الهموم العميقة التي أتت قبل أوانها وبكثرة،

---

[1] : يُنظر: المُغرب في حليّ المَغرب، ابن سعيد الأندلسي، 1/ 52- 53.

[2] : الحلة السيراء، ابن الأبّار، 1/ 141.

[3] : كاشح: العدو الباطن، المنجد: كشح.

[4] : يُنظر: ابن زيدون، د. شوقي ضيف، ص23.

[5] : الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، م1/ 347، 349.

والدليل أتى في الإيحاء الجميل الذي تأتّى من الصورة /فما أشربُ المكروه بالغُمْرِ/، فهو لا يتذوّق مرارة الهموم بكأسٍ صغيرٍ لعظمتِها.

ومن الشعراء الوزراء الذين لقوا حتفهم في سجنهم –جرّه عليهم حصادُ ألسنتهم– الوزير الشاعر أبو بكر بن عمار الذي اتّفق مع عبد الرحمن بن رشيق على أخذ مدينة مرسية من صاحبها أبي عبد الرحمن بن طاهر بأمرٍ من المعتمد، لكنّه سرعان ما تزيّا بزي المعتمد في مظاهر الأبّهة بعد دخوله مرسية، وعندما سقطت في يده فرّ من مرسية إلى جليقة لاحقاً بأذفونش بن فرذلند، ثمّ عدل إلى سرقسطة لخدمة واليها المؤتمن يوسف بن المقتدر بن هود الذي أراد أن يستفيد من ابن عمار ومواهبه، فاقترح ابن عمار عليه إخضاع شقورة إحدى معاقل الأندلس، لكنْ حدث ما لم يتوقّعه الشاعر المغامر؛ إذ ما كاد يصل باب الحصن مع تابعَيه حتّى وقع أسيراً في يد جنود بني سهيل الذين كان يسعى لمفاوضتهم على حصنهم([1])، وقد قال ابن عمار في سجنه هذا أشعاراً يصف فيها السجن وقسوته قائلاً:([2]) /الكامل/

أدرك أخاك ولو بقافيةٍ كالطَّلِّ يوقظُ نائمَ الزّهر
فلقد تقاذفتِ الركابُ به في غيرِ مَوماةٍ ولا بحرِ
طَلَحت صحابتُه بلا سِنَةٍ وتساقطوا سُكراً بلا خمرِ
وحشٍ تناكرتِ الوجوه به حتّى من الأنواءِ والقَطْرِ
عالٍ أظنَّ الجِنَّ إذا مرَدَتْ جعلتْ مَرقاةً إلى النَّسرِ
بمعارجٍ أدّت إلى حَرَجٍ حتّى استربْتُ بصفحةِ البدرِ

يصف الشاعر حياته في المعتقَل معبّراً عن معاني الشقاء والعذاب مُلتمساً من صديقه أن يخفف عنه محنته ولو بمقطوعة شعرية تمنحه الأمل والحياة مستعيناً بصورة شعرية جميلة تعكس مدى تألّمه من هذا السجن، فقد استخدم الصورة /كالطلّ يوقظ نائم الزّهر/ لتعبر عن الحياة بعد الموت، فكما يعيد الطلُّ الحياة إلى الزهور سيعيد الشعر إلى روحه التفاؤل والحياة في سجنه الذي لم يكن بحراً ولا صحراء، بل كان مُعتقَلاً أسكر أصحابه وأعياهم دون خمرٍ، ولعلّ هذا المعنى يحيلنا إلى معاني القرآن الكريم وذلك في قوله تعالى: ((**يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُم بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ**))([3])، فكلا المعنيين يشير إلى صعوبة الموقف، فالذهول عند الشاعر وأصحابه كان بسبب هول ذلك السجن في حين كان الذهول في الآية الكريمة بسبب هول يوم القيامة وعظمته، ولعلَّ استخدام أيقونة /الجنّ/ ما هي إلّا رغبةٌ من الشاعر ليشير إلى أنَّ مثل ذلك المعتقل لا يليق إلا مسكناً للجنِّ لعلوّه، ثمّ يلجأ إلى الاستعارة /وحش/ ليعكس من خلالها وحشية المكان الذي خلا من الناس ممّا يجلب الاحزان والهموم بل يجعل النفس تشكُّ بأكثر الاشياء ألفةً وهو القمر.

[1] : **يُنظر: الحلة السيراء، 2/ 131– 150.**

[2] : **قلائد العقيان، 1/ 273.**

[3] : **الحج، آية 22.**

2- وصف القيود والسلاسل:

إنّ الشعر الذي يصف السجون حمل في طياته وصفاً للقيود والسلاسل وأثرها في الجسد، هناك حيث امتزجت هموم السجن وآلام القيود والسلاسل يظهر ابن عمّار الذي قُيّد في سجنه، فأرسل إلى الرشيد الابن الثاني للمعتمد قصيدةً ذكرها ابن بسّام بقوله: وقد كتب إلى الرشيد بهذا القصيد وهو من قصائد الحرّة وقلائد المبرّة.([1]) /الخفيف/

قل لبرق الغمام مطوِ البريدِ قاصداً بالسلام قصرَ الرشيدِ([2])
فتقلّبْ في جوّه كفؤادي وتناثرْ في صحنه([3]) كالفريدِ([4])
وانجذب في صلاصل الرعد تحكي ضجّتي في سلاسلي وقيودي([5])

تتجلّى عظمة المعاني من خلال الاستعانة ب /برق الغمام/ ليجعل منه مُرسَلاً سريعاً يعبّر عن رغبته في سرعة الوصول إلى الرشيد، كما جعل تقلّب الجوّ انعكاساً باطنيّاً لذاته المتعبة المضطربة، ولعلَّ جمال المعاني ظهر من خلال جعل صوت الرعد الصاخب مرآةً تعكس صلصلة القيود التي عانى منها.

3- الشوق والحنين إلى الأحبة:

لا شكّ في أنّ قضبان السجن وقساوة القيود لم تسطع أن تمنع لواعج الشوق والحنين إلى الاهل من الاشتعال، فقد كان للشوق نصيب وافرٌ من شعر السجون، ففيه صدى الذكريات التي تشدُّ إلى الماضي الجميل ومَن فيه من أحبا، ومن الشعراء الذين تشوّقوا إلى الأهل محمد بن مسعود البجاني، فقد تشوّق غلى شخصٍ غاب عنه، فقال:([6]) /البسيط/

يحنّ عند مقاساة البلاءِ به قلبي إليك حنين الهيم([7]) والنَّيبِ([8])
ولو توسّد أطباق الثّرى جسدي ناداك قلبي بترجيعٍ([9]) وتثويبِ([10])

إنّ جمال المعاني يتجلّى من خلال استخدام الصورة /حنين الهيم والنّيب/ ليشير من خلال شوق الإبل العجوز إلى الماء إلى حالة الشوق التي تعتريه تجاه من يحبّه، كما أنّ استخدام الصورة /ناداك قلبي بترجيعٍ وتثويب/ يفصح عن استمرار الحنين والشوق إلى لقاء الأحبّة، فكما هو حال المؤذّن الذي يردّد صوته فإنَّ الاشواق ستتردّد.

4- الاستعطاف والمدح:

إنَّ المنقّب في شعر السجون يجد أنَّ هذا النوع من الشعر لم يخلُ في معظمه من الاستعطاف والاعتذار عمّا تورّط فيه الشعراء من أخطاء أو عمّا نُسب إليهم ظلماً لدى ذوي السلطان بباعث الوشاية والحسد،([1]) وكثيراً ما ارتبط المدح

---

[1] : **الذخيرة، ق1/ م1/ 426- 427.**
[2] : **البريد: اثنا عشر ميلاً، الصّحاح: برد.**
[3] : **صحنه: وسطه، الصحاح: صحن.**
[4] : **الفريد: اللؤلؤ، الصحاح: فرد.**
[5] : **الصلاصل: الأصوات، الصحاح: صلل.**
[6] : **الذخيرة، ق1/ م1/ 564.**
[7] : **الهيم: الإبل العطاش، الصحاح: هيم.**
[8] : **النيب: النوق المسنّة، الصحاح: نيب.**
[9] : **ترجيع: تكرار، الصحاح: رجع.**
[10] : **تثويب: عبارة أذان الصبح /الصلاة خير من النوم/، الصحاح: ثوب.**

بالاستعطاف، فقد كان من المعلوم أنَّ الأندلسيين لم يكثروا من فنّ المديح إذا ما قيس بما نظمه المشارقة في المدح،([2])وقصائد الاستعطاف تدور في أكثر معانيها حول نفي الشاعر التهمة عن نفسه ومحاولته إثبات البراءة وحسن النيّة من المُعتذَر إليه، ومن الشعراء الذين أجادوا الاستعطاف ومزجوا ذلك الاستعطاف بالمدح الشاعر ابن زيدون الذي خاطب في آخر ايام سجنه الوزير ابن جهور الذي سجنه قائلاً:([3]) /الخفيف/

أيّها الوزير ها أنا أشكو والعصا بدْءُ قَرعِها للحكيم
ما عسى أن يألف السابق المر بط في العتقِ منع والتّطهيم
وبقاء الحسامِ في الجفنِ يثني منه بعد المضاءِ والتصميمِ
أ فصبرٌ مئين خمساً من الأيام؟ ناهيكَ من عذابٍ أليمِ
بأبي أنت إن تشأ تكُ برداً وسلاماً كنارِ إبراهيمِ

تتجلّى عظمة المعاني من خلال التضمين في قول الشاعر /والعصا بدء قرعها للحليم/، فهو يجعل نفسه حليماً وسيفاً قاطعاً لذا فبقاؤه في السجن يطفئ نور حياته كما حال السيف الذي بقي في غمده، ففقد سمة المضاء والقطع، ولعلَّ عظمة المعاني تتأتّى من الدقّة في تحديد زمن السّجن خمسمائة يومٍ يعاني فيها العذاب، لذا فهو لا يجد مركباً له سوى الاستعطاف مُبطّناً استعطافه بتضمين معاني القرآن الكريم جاعلاً الممدوح المستعطَف برداً وسلاماً عليه كما هو حال تلك النار التي وردت في قوله تعالى: ((**قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَى إِبْرَاهِيمَ**))([4]).

وقد أبدع ابن عمار في شعره وهو سجين إذ يصف قيوده وأغلاله في قصر المعتمد بن عباد، فقد أرسل إليه قصيدة ترتفع إلى روائع الشعر الإنساني لما حملته من معانٍ عكست عواطفه الصادقة، وأحاسيسه المتدفّقة وهو يتقلب بين اليأس من الحياة والأمل الضعيف فيها، وكانت هذه القصيدة آخر ما فاضت به قريحته قبل قتله على يد صديقه المعتمد، وكان يطمح أن تكون سبيلاً لخلاصه، فأودعها كلّ ما يستطيع من مشاعر، وكان من أبياتها:([5]) /الطويل/

سجاياك إن عافيتَ أندى وأسجحُ وعندك إن عاقبتَ أجلى وأوضحُ([1])
وإن كان بينّ الخطّتَين مَزيّةٌ فأنت إلى الأدنى من الله أجنحُ([2])
حنانَيك في أخذي برايك لا تطعْ عِداتي وإنْ أثنوا عليّ وأفصحوا
وماذا عسى الأعداءُ أن يتزيّدوا سوى أنّ ذنبي واضحٌ مُتصحّحُ([3])
نعم لي ذنبٌ غير أنّ لحلمه صفاةٌ يزلُّ الذنبُ عنها فيسفحُ
وإنَّ رجائي أن عندك غير ما يخوضُ عدوّي اليومَ فيه ويمرحُ
ولا تلتفتْ قول الوشاةِ وزورهم فكلُّ إناءٍ بالذي فيه يرشحُ
أمَا إنَّ بطشاً للمؤيد يُتّقى ولكنّ حلماً للمؤيّد أرجحُ

---

[1] : يُنظر: ديوان ابن زيدون ورسائله، ص266– 267.

[2] : يُنظر: السابق نفسه، ص281– 283.

[3] : السابق نفسه، ص266– 267.

[4] : الأنبياء، الآية69.

[5] : قلائد العقيان، 2/ 286– 287.

سلامٌ عليه كيف دار به الهوى إليَّ فيدنو او عليَّ فينزحُ([5])
وبين ضلوعي من هواه تميمةٌ([1]) ستنفع لو أنَّ الحِمامَ يُجلّحُ([6])

5- الفخر:

إنّ روح الكبرياء والعظمة لدى بعض الشعراء أنستهم مذلة السجن وآلامه، وأشعلت فيهم الفخر بالذّات والاعتداد بالنفس، ولعلَّ أبرز مَن تغنّى بعزّة نفسه في سجنه الأمير المسجون المعتمد بن عبّاد الذي قال:([7]) /البسيط/

وقد حننتُ إلى ما اعتدتُّ من كرمٍ حنين أرضٍ إلى مُستأخِر المطرِ
وقد تناهت يدي عن كأسها غضب ومجّتِ الأذنُ أيضاً نغمة الوترِ
حتّى أملّك هذي ما تجودُ به وأسمعِ الحمدَ بالأخرى على الاثرِ
فهاتِها خلعاً أرضي السماحَ بها محفوفة من أكفِّ الشرب بالبدرِ

فالشاعر يعتدُّ بكرمه الذي اشتاق إلى فعله، ، كما أنَّ السجن جعله يزهد بمغريات الحياة وملذاتها.

وها هو ابن زيدون يفخر أيضاً بنفسه ويعتدّ بها؛ إذ يعمد في معانيه إلى تشبيه ذاته بالغيث الذي ما إن احتبس على النبات سيعود وسيسقي العطاش مجدّداً، كما أنّه يشبّه نفسه بالأسد الذي يرقد عن فريسته حيناً لكن سرعان ما ينقضّ عليها وذلك في قوله:([8]) /مجزوء الرمل/

ولئن أمسيتُ محبو ساً فللغيث احتباس
يلبدُ الوردُ السبنتـ وله بعد افتراسُ

ولعلّ أقسى الآلام بعد آلام السجن التي يعانيها السجين هي ألم الشوق والحنين الذي ولّده الفراق، فقد كان وليد حالة صعبة في السجن والمعتقَل، وآلامه كانت حصيلة دوافع شعوريّة نفسية ألقت بظلالها على السجين، فكان السجن جرحاً لا يندمل، وقدراً من المحال دفعه بعدما غدت النجاة جلماً صعب المنال، فما كان من ذلك السجين إلا أن لجأ إلى الشعر يستودعه ما يجوب في نفسه من نجوى، وهذا ما ظهر جلياً في قول ابن عمّار:([9])

دعوتُ لمّا عِيل صبري فهل
إنْ كنتُ أضمرتُ الذي زخرفوا
مولاي مولاي ألَا عِطفةٌ

---

[2] : **السجح: حسن العفو، المنجد: سجح.**
[3] : **الخطة: الأمر، المنجد: خطّ.**
[4] : **متصحح: مطابق للواقع، المنجد: صحّ.**
[1] : **تميمة: عوذة، الصحاح: تمم.**
[5] : **ينزح: يبتعد، الصحاح: نزح.**
[6] : **يجلح: يذهب، الصحاح: جلح.**
[7] : **المعتمد بن عباد، عبد الوهاب عزّام، ص68.**
[8] : **ديوان ابن زيدون ورسائله، عبد العظيم، ص276.**
[9] : **نفح الطيب، ج3، ص95.**

6- الحكمة:

لاشكَّ في أن الانفعال القوي الذي تركه السجن في نفس الشعراء قد أشعل فيهم الوجدان الديني فقد كان هناك عدد من الشعراء الذين سُجنوا وعُرفوا بالورع والتقى والتدين والفقه وخير مثال على أولئك الشعراء المعتمد بن عباد الذي قال:([1]) /البسيط/

اقنع بحظّك في دنياك ما كانا وعزِّ نفسك إن فاقت أوطانا
في الله في كلِّ مفقودٍ مضى عوضٌ فأشعرَ النَّفسَ سلواناً وإيماناً
أكلَّما سنحتْ ذكرى طربْتَ لها مجَّتْ دموعك في خدَّيك طوفاناً
أما سمعتَ بسلطانٍ شبيهك قد بزتْه سود خطوب الدّهر سلطانا
وَطِّن على الكره وارقب إثرَه فرجاً واستغفر الله تغنم منه غفرانا

فقد ظهرت الحكمة من خلال معانيه، وقد ظهر فيها بمظهر الناصح الذي يدعو إلى القناعة بالقضاء والقدر والشعور بالعزّة رغم البعد عن الأهل والوطن، إذ نُفي إلى أغمات، وهو يؤكّد أنّ كلَّ ما فقدناه من ملذّات الحياة سيتعوّض، وهو في المقابل يدعو إلى التجلُّد والصبر عند الشدائد فهو ليس أوّل صاحب جاهٍ أصابه الانكسار.

7- موقف الشعراء من الذين سجنوهم:

لقد تباينت مواقف الشعراء من الذين سجنوهم، فمنهم مَن كان متخاذلاً ضعيفاً ذليلاً هانت عليه نفسه وأحسابه، والتمس العفو، واستشفع بمَن يظنُّ أنّه قادرٌ على خلاصه ،ومنهم مَن لم يطأطئ رأسه، ولم يتذلّل ويتصاغر، وأبت نفسه أن يطلب العفو بل دافع عن موقفه مبرّراً ومعلّلاً السبب الذي ساقه إلى السجن، وكان من أشدّ الناس ضعفاً في سجنه جعفر بن عثمان المصحفيّ، فقد سجنه المنصور بن أبي عامرٍ فأذلّه، وأظهر المصحفيّ من التذلّل ما لم يظهره شخصٌ آخر في مثل موقعه كحاجب، فقال:([2]) /المتقارب/

عفا الله عنك ألَا رحمةٌ تجودُ بعفوك إن أبعدَا
لئن جلَّ ذنبٌ ولم أعتمده فأنت أجلُّ وأعلى يدُ
ألم ترَ عبداً عدا طَوره ومولىً عفا ورشيداً وهدى
أقلْني أقالك مَنْ لم يزلْ يقيكَ ويصرفُ عنك الرّدى

ومن الشعراء الذين اتصفوا بالصلابة والكبرياء في سجونهم، ورفضوا التذلّل، والتمسوا العفو لكن بعزّةٍ وكبرياء الشاعر الوزير ابن زيدون الذي وشى به الواشون، ولفّقوا عليه التهم، فسُجن على يد أبي الحزم ابن جهور، فأرسل إليه قصيدة وهو في المُعتقَل قال فيها:([3]) /الطويل/

ألم يأنِ أن يبكي الغمامُ على مثلي ويطلبُ ثأري البرقُ مُنصلتُ النّصلِ([4])
وهلّا أقامتْ أنجمُ الليلِ مأتماً لِتندبَ في الآفاق ما ضاعَ من نُبلي
ولو أنّي أسطيعُ كي أرضي العِدا شريتُ ببعض العلمِ حظّاً من الجهلِ

[1] : المعتمد بن عباد، ص65.
[2] : مطمح الأنفس، ص159-160.
[3] : الذخيرة، ق1/ م1/ 340- 341.
[4] : أصلت سيفه: جرّده، الصحاح: صلتَ.

أمقتولةَ الأجفانِ مالك والهةً ... ألم ترِكِ الأيّامُ نجماً هوى قبلي؟
وفي أمّ موسى عبرةٌ إذْ رمَتْ به ... إلى اليمّ في التابوتِ فاعتبري
ولله فينا عِلمُ غيبٍ وحسبُنا ... به عند جور الدّهر من حكمٍ عَدلِ
أبا الحزمِ إنّي في عتابك ماثلٌ ... على جانبٍ تأوي إليه العلا سَهلِ
أ إن زعم الواشون ما ليس مزعماً ... تُعذّرُ في نصري وتعذرُ في خذلي؟([1])
ولم أستثر حربّ الفجارِ ولم أطعْ ... مُسيلمةَ إذْ قال إنّي من الرّسْلِ
وإنّي لتنهاني نُهاي عن التي ... أشار به الواشي ويعقلني عقلي([2])
أ أنقضُ فيكَ المدحَ من بعد قوّةٍ ... فلا أقتدي إلّا بناقضةِ الغَزْلِ([3])
وأينَ جوابٌ منكَ ترضى به العُلا ... إذا سألتْني عنك أسنةُ الحفلِ؟

إنّ اعتداد ابن زيدون بنفسه جعله يلجأ إلى الطبيعة في معانيه ليجعلها في حالة حزنٍ وألم، فقد حان بكاء الغيوم لأسرِه، وآن لغضب تلك الغيوم أن يظهر فتستلّ سيفها البارق وتثأر ممّن كانوا سبباً في سجنه، وإنّ جمال المعاني يتجلى من خلال الصرخة /هلّا/ التي تدعو نجوم الليل كي تقيم عزىً تذكر فيه مآثر ابن زيدون وخصاله النبيلة، كما أنّ جمال الصورة /شريتُ ببعض العلم بعضاً من الجهلِ/ جاء للتعبير عن مدى اعتداد ابن زيدون الباطنيّ بنفسه، فقد جعل نفسه عالماً في عالم جهلاء وشَوا به، وقد ظهرت قمّة الاعتداد بالنفس في حديثه الذي وجّهه غلى أمّه التي حزنت على فراقه جاعلاً ذاته برفعتها وشموخها نجماً، وهو لا يتعجب من سقوط بعض النجوم، ولعلّ المعنى الديني الباطن المتمثّل في التضمين البارع في قوله /وفي أمّ موسى عبر/، /رمت به إلى اليمّ في التابوت/ يحمل إيحاءً العظمة والجلال، فقد جعل نفسه بمقام النبي موسى (عليه السلام) الذي ألقته أمّه في اليمّ بأمرٍ من الله، وكان ذلك وسيلةً لنجاته، وهو بذلك يشير إلى قوله تعالى: **((وَأَوْحَيْنَا إِلَى أُمِّ مُوسَى أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِي إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ))**([4])، ثمّ تظهر قمّة الاعتداد بالنفس في أنه أكّد على أنّ الله سينصره ويخلّصه من مأزقه، فهو العالم بأمور عباده، ثمّ يتوجّه غلى ابن جهور بنبرة المدح تارة والعتاب تارةً أخرى، وهنا يشير بهذا المعنى إلى عظمة مرتبته، فالعتاب لا يكون إلّا بين متحابَين أو نِدّين أو متقاربين في المنزلة، فهو يربط سبب السجن بوشي الوشاة مبيّناً أنّه لم يرتكب ما يجعله يستحقّ السجن، كإيقاد الحرب، أو ادعاء النبوّة، وقد أكّد أنّ ودّه له بما مدحه ما زالا يقطنان قلبه، وإلّا فسيكون حاله كحال المرأة التي تقوم بفكّ غزلها بعد أن غزلتْه، وفي هذا المعنى إشارة إلى قوله تعالى: **((وَلَا تَكُونُواْ كَالَّتِي نَقَضَتْ غَزْلَهَا مِن بَعْدِ قُوَّةٍ أَنكَاثًا))**([5])، وهو ف ي النهاية يكلّمه بصيغة المفاوض الذي يريد منه ردّاً بالعفو كي تكون الدنيا بأسرها راضية وكي يكون عنواناً للمديح الذي سينشره فيما بعد في أيّ مجلسٍ يقصده.

ولعلّ قمّة الاعتداد بالنفس تظهر عند ابن زيدون في قوله:([6]) /البسيط/

---

[1] : تعذر: ترفع اللوم، المنجد: عذر.

[2] : يعقلني: يمنعني، المنجد: عقل.

[3] : نقض الحبل: فلّه، المنجد: نقض.

[4] : القصص، الآية 7.

[5] : النحل، الآية 92.

[6] : الذخيرة، ق1/ م1/ 347– 349.

هل الرياح بنجم الأرضِ عاصفةٌ أم الكسوف لغير الشمسِ والقمرِ؟
إن كان في السجن إبداعي فلا عجبٌ قد يُودعُ الجفن حدّ الصارمِ الذّكرِ

إنّ استخدام المعاني البديعة في قوله /نجم الأرض/، /الشمس والقمر/ فيه تعبيرٌ صارخٌ عن العظمة، فالرياح لا تكسر النبات الصغير وإنّما مقصدها الأشجار الباسقة العظيمة، ثمّ إنّ الكسوف والخسوف لا يصيبان إلّا الكواكب العظيمة دون النجوم التي ضؤُل جِرمها.

الخاتمة:

نجد من خلال البحث أن السجن كان عقوبة لعديد من الشعراء ليس لأنّهم كانوا في صفوف الطبقة المعارضة للملوك والأمراء، بل لأن الشاعر كان في ذلك الوقت يحمل شخصية السّياسي فكان يصيبه ما يصيب السياسي، فقد احتلّ عددٌ من الشعراء مرتبة الوزير، ولا بدَّ من الإشارة إلى أن السّجن كان في بعض الأحيان ظلماً لصاحبه كما حدث مع ابن زيدون فقد كان سبب سجنه الوشاة ولاسيما خصمه في الحب الوزير ابن عبدون.

كما أن الشعر قيل في السجن لم يكن حكراً على الشعراء بل جاد به الوزراء والملوك والأمراء كابن زيدون وابن عمار وابن عباد، وقد اختلفت المعاني في شعر السجون بين الشعراء على الرغم من اشتراكها في كثير من المعاني كوصف السجن والحال فيه، ووصف القيود والأغلال، والشوق والحنين إلى الأحبة، والاستعطاف والمدح، والفخر، وظهرت فيه مواقف متباينة بين التذلّل للسجّان والوقوف بقوة وكبرياء أمامه، كما أننا نجد من الشعراء من استخدم فلسفة الحياة، ولجأ إلى استخدام الحكمة مظللاً تلك المعاني بقناع الصور المعبرة الأنيقة التي عبّرت عن أعماق ذاته.

ولا بد من الإشارة إلى أن هناك كثيراً من المعاني التي لم يتطرق إليها البحث منعاً من الإطالة ومنها على سبيل العد لا الحصر (الرثاء، الهجاء، الغزل وغيرها...).

الاستنتاجات والتوصيات:

لقد سعى البحث إلى الوقوف عند أهم معاني شعر السجون، وتمكن من الوصول إلى النتائج الآتية:

- أظهر شعر السجون حقيقة أنّ الشعراء لم يكونوا مجرّد شعراء، بل تجاوزوا ذلك ليكونوا سياسيين يصيبهم ما يصيب السياسيين من مخاطر.
- أكّد البحث على أنّ شعر الشجون لم يكن حِكراً على الشعراء، بل تعدّاه إلى الملوك والوزراء الذين تعرّضوا للسجن.
- أظهر البحث مواقف متباينة في السجن بين التذلّل للسجّان والوقوف بقوة وكبرياء أمامه من جهة، وبين فلسفة الحياة واستخدام الحكمة من جهة أخرى.
- كان شعر السجون صورة متكاملة لحياة أصحابه من قتامة ومعاناة وعذاب كما جسّد معاني الغربة والشوق الحنين.

المصادر والمراجع:

- ابن زيدون، د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط3، د.ت، سلسلة نوابغ الفكر العربي.
- الحلة السيراء، أبو عبد الله محمد بن عبد الله (ابن الأبّار)، تح: د. حسين مؤنس، دار المعارف، القاهرة، مصر، ط2، 1985م.
- ديوان ابن زيدون ورسائله، شرح وتحقيق: علي عبد العظيم، مصر: مكتبة نهضة مصر بالفجّالة، 1959م.
- الذخيرة في محاسن أهل الجزيرة، تأليف: أبو الحسن علي بن بسّام الشنتريني، تح: د.إحسان عبّاس، دار الثقافة، بيروت، لبنان، 1417هـ/ 1997م.
- الصحاح، للإمام إسماعيل بن حماد الجوهري، اعتنى به خليل مأمون شيحا، بيروت، دار المعرفة، ط2، 1428هـ/ 2007م.
- قلائد العقيان في محاسن الأعيان، الفتح بن خاقان، تقديم: أحمد العتابي، المكتبة العتيقة، تونس، 1996م.
- مطمح الأنفس ومسرح التأنّس في ملمح الأندلس، ابن خاقان، تح: محمد علي شوابكة، بيروت، مؤسسة الرسالة، ط1، (1403هـ/ 1983م).
- المعتمد بن عبّاد – الملك الجواد الشجاع المُرزّأ، د. عبد الوهاب عزّام، مكتبة الثقافة الدينيّة، القاهرة، ط1، 1430هـ/ 2010م.
- المُغرب في حليّ المَغرب، لأبي الحسن علي بن موسى بن سعيد الأندلسي، تح: د. شوقي ضيف، دار المعارف بمصر، ط2، 1964م.
- المنجد في اللغة، بيروت، دار المشرق، ط20.
- نفح الطيب في غصن الأندلس الرطيب، الشيخ أحمد بن محمد المقري التلمساني (ت1041هـ)، تح: إحسان عباس، دار صادر، ط1.